

أ.حاج زيان وهيبة

جامعة البليدة 2

ملخص

في إطار التحولات التي يعيشها المجتمع الجزائري، برزت العديد من الظواهر الاجتماعية التي تحتاج إلى الدراسة نذكر منها : ظاهرة العنف لدى الشباب، والتي تزداد حدتها حسب ما تؤكد الإحصاءات الرسمية وغير الرسمية وما تنتشره وسائل الإعلام المختلفة عن أعمال وجرائم العنف بصورة تكاد تكون يومية، يمارسها شباب باختلاف مستوياته التعليمية والاجتماعية والثقافية، مما يدعو للبحث عن أسباب هذه الظاهرة وخلفياتها والتي تتضافر في إحداثها العديد من العوامل النفسية والاجتماعية والاقتصادية ، يعيشها شبابنا في ظل مستجدات الحياة العصرية بكل مغرياتهما وتحدياتها....

Résume

Des phénomènes sociaux apparaissent, alors que la société algérienne subit depuis plusieurs années des changements a tous les niveaux.

Les mutations de cette société, implique une étude critique de ces phénomènes. Parmi ces phénomènes inquiétants on cite: la violence juvénile; Celons les statistiques et les medias cette violence serai quasi quotidienne, cette jeunesse éprit de violence, malgré des disparités culturelles, éducatives et sociales, d'ou vient elle? Qu'elles sont les vraies causes de cette violence? Autant de questions primordiales ...Car ce sont bien les facteurs psychologiques, sociaux et surtout économiques qui sont en jeux.

Une société et une jeunesse modelée par les nouvelles technologies, l'abondance de produits et la consommation.

تعتبر ظاهرة العنف عامة ولدى فئة الشباب بصفة خاصة، من أكثر المشكلات التي تزداد خطورتها في العشريتين الأخيرتين جراء التحولات الداخلية وإفرازات التحولات العربية والعالمية المتعددة الأبعاد. والجزائر من بين البلدان التي تعرف انتشار الظاهرة بصورة مخيفة، في كل مجالات الحياة الاجتماعية، فهي حاضرة في وسائل الإعلام الجماهيرية، في الأدب، في الفن، في الرياضة وفي المؤسسات التربوية كالمدارس والجامعات، والتي ظلت لوقت طويل في نظر الكثيرين - حرما آمنا- حتى أصبحت ظاهرة العنف، مشكلة تكاد أن تعرقل البناء الحضاري وجعلت بلادنا تعرف تأخرا اجتماعيا وتربويا وأخلاقيا، رغم ما يزخر به المجتمع الجزائري من مقومات وإمكانات متعددة كفيلة بالإقلاع الحضاري الصحيح.

وباعتبار مجتمعنا يتميز بالكثافة الشبابية في بنائه الديموغرافي، فإنه يملك قوة مهمة من قواه الأساسية فإذا ما استطاع أن يوظف هذه القوة بشكل سليم، كانت هذه القوى إيجابية بناءة استطاعت أن تمارس دورها الصحيح في تحديث المجتمع والنهوض به، والسير به قدما نحو مستقبل أكثر رفاة واستقرارا، بالمقابل إذا فشل المجتمع في استيعاب قوة شبابه وإمكاناته الكبيرة، وعانى الشباب من المشكلات والاحباطات وغيرها من صور المعاناة واللامساواة والظلم الاجتماعي....يصبح مهددا بالعديد من الاضطرابات التي تهدد أمنه واستقراره وتعيقه عن التنمية، فضلا عن احتمال إصابة المجتمع بالفوضى وبالتالي فشله في التصدي للعديد من المشكلات والمظاهر السلوكية المرضية التي قد تنقش في بنائه الاجتماعي على وجه العموم ولدى الشباب على وجه الخصوص .

لقد تزايدت سلوكيات العنف في الحياة الاجتماعية والسياسية بين شباب العالم بأسره، حتى أصبحت من المعالم المميزة لهذا القرن، حيث نعيش اليوم في عالم كثرت فيه الجرائم وأعمال العنف: كالاعتداء التدمير، تحطيم وإتلاف الممتلكات، الإضرابات المتكررة، السرقة، التمرد، الضرب وحتى القتل...وكان شباب اليوم، مقتنع بأن السبيل الوحيد لتحقيق أهدافه وطموحاته وتغيير واقعه الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لا يتم إلا بهذه الطريقة، بل أصبح يؤمن بأن اللغة الوحيدة التي يفهمها ويخافها ويستجيب لها المعنيون بالأمر، هي لغة العنف ولا لغة غيرها...

وقد يستخدم الشباب العنف ليس للتدمير والتخريب فحسب، لكن بدعوى الدفاع عن النفس عن مظلوم أو ضعيف أو حق من الحقوق، وقد يستخدمه بعضهم للوصول إلى هدف من

الأهداف إذا وجد حائلا بينه وبين تحقيق هذا الهدف، كما قد يستخدم الشباب العنف عند شعوره باليأس والإحباط والاضطراب وذلك عندما يشعر بالضيق نتيجة الضغوط الاجتماعية، الاقتصادية، البطالة وغيرها...

إن الحديث عن ظاهرة العنف لدى الشباب في المجتمع الجزائري، لم تكن وليدة الصدفة وإنما ترجع إلى عوامل ومتغيرات ساهمت في إبرازها هذه العوامل لا يمكن التعرف عليها إلا من خلال الربط ما بين السياق التاريخي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، التي مر بها المجتمع الجزائري منذ زمن، والتي بلغت أقصى درجاتها خلال العشرية السوداء، أين عاش الشعب الجزائري أبشع صور العنف والإرهاب والذي كانت شرارته الأولى أحداث 5 أكتوبر 1988 وما تبعها من أحداث أخرى عنيفة مؤلمة، ومهما كانت الخلفيات والعوامل الكامنة وراء تلك الأحداث، فإن الظرف كان مناسباً لدخول الشباب في معترك الاحتجاجات والانتفاضات الشبابية، مع تفاقم الجريمة المنظمة وغير المنظمة والانهايار العصبي والانتحار والهروب إلى خارج البلاد بكل الوسائل والطرق (محمد بومخلوف وآخرون، 2012 ، ص 26). هذه المظاهر الانحرافية لا زالت مستمرة ومتواصلة لغاية اليوم، بل تزداد حدتها من يوم لآخر رغم ما بذلته الحكومات المتعاقبة من مجهودات وما سخرته من إمكانيات في مجال التعليم والتكوين وتوفير فرص العمل والرياضة وغيرها، لامتنع غضب الشباب إلا أن التحولات العميقة والسريعة التي يمر بها المجتمع الجزائري، غير المعزول عن محيطه الإقليمي والدولي من جهة وازدياد طموحات الشباب واحتياجاتهم ومطالبهم من جهة أخرى، تجاوزت قدرة الرعاية، وجعلته يشعر بالتهميش والغبن دوما بسبب عدم تحقيق أهدافه في الاستقرار الاجتماعي.

لقد اكتسب الشباب الجزائري بكل فئاته، نمطا معيشيا جديدا قائما على السعي لتلبية حاجاته المتنامية باستمرار، بحيث لم يعد يرضى ويقتنع بالضروري في معاشه كما كان أباه، وساعد في ذلك مستواه التعليمي المرتفع ووعيه المكتسب في ظل الانفتاح العالمي بفضل ما وفرته تكنولوجيا الاتصال المتطورة، فالكل متصل بشبكة معلوماتية ومنفتح على قنوات فضائية عالمية، تساهم في تشكيل مفاهيم جديدة وتمنحهم آفاقا تكاد تكون خيالية، لا حدود لها وتتجاوز كل التصورات، فلم تعد الأسرة وحدها ولا المدرسة ولا وسائل الإعلام المحلية تشكل مرجعياتهم، فقد فتح شباب اليوم عيونهم على حقائق وأفكار وأساليب حياة وسبل عيش وفرص تحقيق التوفيق الاجتماعي ذات بعد عالمي.

إن التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي يعيشها المجتمع الجزائري، في الوقت الراهن أحدثت تحولات عميقة على مستوى العلاقات الاجتماعية والقيم ووسائل العيش وأسلوب الحياة الذي طغى عليه الجانب المادي، وكذلك نماذج التنشئة الاجتماعية للأبناء، إذ تتعرض الأسرة الجزائرية لهزات حادة سواء من الجانب البيوي (عددها وتشكيله أفرادها) أو وظيفيا (صعوبة في قدرتها على مواصلة أداء وظائفها المعروفة) هذا ما أدى إلى حدوث خلل داخل الأسرة. أي أن الأسرة التي كانت تمثل أمن المجتمع وحامية نظمته وقيمه وعاداته وتقاليد، والتي كانت تقف حائلا أمام ظهور حالات العنف والانحراف لدى الأبناء، أصبحت في المجتمع عاجزة عن القيام بدورها المعهود، حيث برزت مشاكل في التنشئة الاجتماعية للأبناء لم تكن موجودة في الماضي، خاصة وأن الحياة الاجتماعية آنذاك، لم تكن تسد فيها السلوكات الفردية التي يعيشها المجتمع المعاصر على اعتبار أن العائلة كانت تمثل المؤسسة التي تقوم بجميع المهام اتجاه أعضائها، تحت سلطة رب الأسرة أو العائلة، ولهذا فإنها تقي أفرادها من مغبة الانحراف والسلوكات المشينة لأن ذلك لا يمس الفرد وحده، بل العائلة بكاملها.

لقد أصبح الشباب الجزائري، يتعرضون في أسرهم لعملية مثاقفة وأصبح يعيش صراعا بين ما هو تقليدي والقيم الدخيلة عليه، وكذلك صراع الأجيال وصراع الأدوار والمراكز ونمو الفردانية في ظل ضعف وتفكك العلاقات العائلية في كثير من الأحيان، خاصة مع الانفتاح على العالم الخارجي بكل ما تحمله الكلمة من معنى. وأصبح الأبناء في كثير من الأسر الجزائرية المعاصرة، يعيشون مظاهر العنف بصفة تكاد تكون يومية: في أسرهم أو مدارسهم أو جامعاتهم أو مقر عملهم أو أي مكان يتواجدون فيه، وهم بذلك يعبرون عن ما تعلموه وألفوه في أسرهم منذ الصغر، أو يتخذون من العنف سبيلا لتفريغ شحنة الغضب واليأس والاحباط التي يشعرون بها نتيجة أسباب عديدة ومتعددة يعيشونها في أسرهم اليوم، حيث يؤكد المختصون أن التحولات في نمط المعيشة الناتجة عن التحضر لم يصاحبه تحول في نمط التربية وأسلوبها ومتطلباتها المعيشية الذي لا يستجيب للوضع الجديد، فإذا كانت التربية التقليدية تقوم على العصامية والقناعة، فإن التربية الحديثة تقوم على التأهيل والإعداد المستمرين وتوفير الكماليات فضلا عن الضروريات، ولذلك لا تتشابه الأسر في تعاملها مع هذه الضغوط، فلكل أسرة وضعها وأسلوبها الخاص وهذا ما ينعكس على تماسكها واستقرارها وتصرفات أفرادها داخلها وخارجها...

إن العوامل والمتغيرات السالفة الذكر ربما أسهمت بطريقة أو بأخرى في إحداث خلل في بنية النسق القيمي والتنشئة داخل الأسرة، وظهور بعض الانحرافات الأخلاقية والقانونية والخروج عن المعايير السائدة في المجتمع، حيث برزت لدى الشباب بكل مستوياته التعليمية وبشكل ملحوظ بعض الانحرافات السلوكية كأعمال العنف بكل أشكاله: الشغب، السرقة والخروج عن سلطة الوالدين والهروب من المنزل أو المدرسة وغيرها من الانحرافات التي تجعل هؤلاء الشباب في مواجهة مع الأهل ومع القانون في كثير من الأحيان...يحق لنا إذن أن نتساءل ونبحث عن الأسباب والعوامل التي تدفع بشبابنا اليوم إلى التعامل بكل أشكال العنف مع أيا كان وفي أي مكان يتواجد فيه، بل نتساءل من هم هؤلاء الشباب؟ وما هي خصوصياتهم وهل يتعاملون بنفس السلوكات في كل الأحوال؟ لماذا يلقي الكبار اللوم على شباب اليوم و يصفه بأوصاف الانحراف والتمرد والعصيان؟هل فعلا شباب عصر التكنولوجيا والعولمة تغير عن شباب الجيل السابق؟ وإذا كان الجواب نعم، ما هي الأسباب والعوامل التي ساهمت في هذا التغير؟

قبل الإجابة على هذه التساؤلات، لا بأس أن نستعرض بعض المفاهيم الخاصة بالشباب وأهميته ثم تلك الخاصة بالعنف، لنربط بعد ذلك بين الاثنين محاولين الكشف عن أهم الأسباب والعوامل التي يجب أخذها بعين الاعتبار في كل السياسات والخطط التنموية سواء على مستوى الأسرة أو الدولة عامة.

2- مفهوم الشباب وأهميته

2-1- مفهوم الشباب

من الناحية اللغوية، الشباب هو من أدرك سن البلوغ و لم يصل إلى سن الرجولة، وشباب الشيء أوله، يقال لقيته في شباب اليوم أي في أول النهار (ليلى علي، 2004، ص28) أي أن الشباب لغة يعني الحداثة وبداية الحياة المفعمة بالأمل والطموح والحماس والاندفاع والإقدام.

أما اصطلاحا، فإن لفظة الشباب تستعمل أحيانا كمراذفة للمراهقة وقد يطلقها البعض على الفترة المتأخرة من المراهقة. كما يرى البعض الآخر أن الشباب هو الجانب الاجتماعي للمراهقة، فالشباب يشكل فئة اجتماعية خاصة تتميز عن الجيل الذي وصل فعلا إلى النضج الحقيقي (أحمد أوزي، 2011، ص17).

كما يقصد بمصطلح الشباب، الأفراد الذين يدخلون مرحلة أخرى من مراحل نموهم ،
تلي فترة المراهقة وتسبق فترة الرشد فالشباب في نظر البعض يبدأ بنهاية المراهقة وينتهي
بسن الثلاثين. والطابع المميز لفترة الشباب عما قبلها من مراحل النمو هو انتهاء الفرد من حل
الجانب الأكبر من مشكلات التوصل إلى هوية أو كينونة والاستقرار عليه، أو انتهاء طور
التمرد والعصيان من جانب الفرد نحو آبائه والتوصل إلى الاستقرار على صورة عاطفية
معينة نحوهم، وتحقيق نوع من التبادل العاطفي مع الجنس الآخر ويصل الفرد خلال الشباب
إلى معرفة نوعية الشخص الذي يريد أن يكون. كما يستطيع أن يعرف ما يفعل وما يريد أن
يفعل ويظل الفرد خلال هذه المرحلة مرنا في أقواله وأفعاله مستكشفا ومقيما ومختبرا (احمد
اوزي، 2011 ، ص 17).

لقد تم استبدال النظرة التقليدية للشباب بنظرة أكثر تقدمية، والتي ترى الشباب
كمجموعة من السمات النفسية والسلوكية كالقدرة الدائمة على التعلم والمرونة والابتكار والعمل
الخالق، كما وان هناك من يعتبر الشباب حالة ذهنية او مجموعة من السمات النفسية والسلوكية
التي يتصف بها الفرد. فتكسبه صفة الشبابية كأن يكون دائم القدرة على التعلم ويتميز بطاقة
وقوة وميل إلى المغامرة ويتصف بالإقدام والجرأة و التحرر أي أن يكون مرنا في تكوين
علاقات وذا حيوية وحركة دائبة. فالشباب طاقة إنسانية متجددة في العمل والابتكار والخلق
و ذات تفكير اجتماعي حيوي(محمد علاء الدين عبد القادر، 1998، ص 25)،حيث يرى
علماء النفس أن الشباب حالة نفسية مصاحبة للإنسان تتميز بالحيوية والنشاط وهي أكثر
مراحل العمر تقبلا للتغيير والتطور وكل ما هو جديد (نورهان فهمي، 1999، ص 36) ،أما
من الناحية القانونية فالشباب هو كل من " بلغ الثامنة عشرة كاملة خالية من العاهات والذي
يعتبره قانون العقوبات سلوكا مخالفا للسلوك العام " (رضا فرج، 1983، ص 387).

على هذا الأساس، توالى التعريفات لمفهوم الشباب والتي اتفقت على العموم على أن
الشباب مرحلة من مراحل العمر، تقع بين الطفولة والشيخوخة، تتميز ببيولوجيا بالاكتمال
العضوي ونضوج القوة وتتميز اجتماعيا بأنها المرحلة التي يتحدد فيها مستقبل الإنسان المهني
والعائلي. وبالرغم من أن العلماء يختلفون في التحديد الزمني لمرحلة الشباب، إلا أن أغلبهم
يميلون إلى تقسيم مرحلة الشباب إلى مرحلتين: تبدأ الأولى مع بداية البلوغ (حوالي 13 سنة)
وتمتد إلى حوالي 21 سنة تقريبا وتعرف بمرحلة الفتوة، بينما الثانية من سن 21 سنة إلى 30
سنة تقريبا مع عدم وجود حدود فاصلة تماما(فيصل غرابييه، 2009، ص 25).

عموماً، يمكن الإشارة في هذا المقام انه من الشباب من يمتد شبابهم إلى سن الأربعين ومنهم من يتوقف عند منتصف العشرينات ومنهم من يبدأ شبابهم في الثامنة عشر أو اقل ومنهم من يبدأ في سن العشرين، وهذا وفقاً للنضج المبكر والمتأخر الذي يختلف من شخص إلى آخر.

2-2- أهمية الشباب

يعتبر الشباب محركاً للإتجاهات والمواقف إزاء الأحداث الحاضرة وهو صانع لأنماط وشروط التنمية والتطور في المستقبل. رغم هذا لم يلقى اهتماماً عملياً من قبل المفكرين والمحللين ولا اهتماماً من قبل أصحاب السلطة والقرار، حتى أوائل القرن العشرين عندما أخذ العالم في مختلف أرجائه يشهد اضطرابات سياسية واقتصادية وثقافية، نهبت الشعوب والحكومات إلى الاهتمام بالشباب باعتباره صانعاً للتغيير، بل للتغيير الجذري على كل المستويات. هذا التغيير الذي يمكن أن يقوم على قاعدة من أساليب الضغط سواء بشكل عنفي من خلال الثورات والحركات التحررية كما حدث في كثير من الدول في السنوات الأخيرة وإما بشكل لا عنفي والذي يظهر بصورة الاعتراض الهادئ غير العنيف عبر وسائل منها: الإضرابات المتكررة، مظاهرات سلمية.... المهم أن تؤدي هذه الأساليب والتي تسمى "باستراتيجية الإكراه القوية" إلى تحقيق الأهداف والحصول على الامتيازات أو الاتفاق على مجمل الحقوق (مأمون طريبه، السلوك الاجتماعي للأسرة ، 2012 ، ص 190).

من هنا، أصبح الشباب يرى بوجهين مختلفان باختلاف النظر إليهما: الأول هو أن الشباب هو جزء من الحل و الثاني هو أن الشباب جزء من المشكلة فالشباب ايجابيا عماد النمو الاجتماعي والاقتصادي وهو أدواته وهدفه في نفس الوقت، باعتباره القوة القادرة على البناء وإعلان البنين الاجتماعي، إذ يشكل طاقة مجتمعية ضخمة إذا أحسن استثمارها والاستفادة منها. والشباب سلبيا هو قوة قادرة على التدمير، تدمير الانجاز التنموي وعلى خلق الاضطراب الاجتماعي إذا لم يجد من يستثمر قوته ويوجهها الوجهة السليمة التي ترضي المجتمع وتفيده. فشعور الشباب بالقوة في ظل تقلبات نفسية سريعة وغير محسوبة، يحرض على الجنوح نحو العنف والعبث والتخريب وإذا ما تنامي هذا الشعور بالسالب، فانه سيحرص هذا الجيل على الإغواء لا سيما إذا ما صاحب قدرة مادية وحظوة اجتماعية تبرز أو تغض الطرف أو تتسامح مع الممارسات الخاطئة والمؤذية للشباب اتجاه الآخرين واتجاه المجتمع، وبعد ذلك تصبح الخطوط الحمراء لمسار السلوك قابلة للاختراق في ظل وهن الضبط

الاجتماعي وتراجع القيم في تأثيرها في نفس الشباب وفي طبيعة سلوكه (فيصل غرابية، 2009 ، ص ص 26 ، 27).

وتبرز أهمية الشباب حاضرا ومستقبلا باعتبارهم من الناحية الإحصائية يمثلون نسبة عالية من مجموع السكان في المجتمع العربي عامة. وهم أيضا يشكلون مستقبل المجتمع قيادة وبناء وتطورا وباعتبارهم كذلك يؤلفون الطاقة الفاعلة والمحركة في المجتمع، التي لا تقبل السكون أو الثبات وهم يشكلون قوة ضاغطة على الشباب من أجل أن يغير من منهجه في التغيير وفي محتواه وفي سرعة انجازه. في حين أن جيل الكبار يقاوم التغيير الاجتماعي ويتمسك بعاداته وتقاليد وقيمه، فإن الشباب يقبل التغيير في هذه العناصر، لا بل ويطالب به كشرط من شروط التنمية والتقدم في المجتمع إذ يعتبرها من المعوقات لهذه التنمية والتقدم المنشودين. لذلك فإن أهمية الشباب تزداد في المجتمعات المتطلعة للتجديد والتطور وتترك أن جملة من المعوقات تواجهها تنبع من طبيعة المجتمع وأن إزالة تلك المعوقات تتطلب تغييرا في نظرة المجتمع إلى أحواله وفي أساليبه وسلوكياته إلا أن الجيل السابق (جيل الآباء والأجداد) يقاوم إحداث تغييرات في هذه الجوانب من حياة المجتمعات التي يرى ضرورة الإبقاء عليها والتمسك بها.

إن الشباب يسعى لصنع مستقبله بيده ووفقا لقناعاته، من غير وصاية من أحد وبدون احتكار من جهة وبذلك يضمن المجتمع مشاركة شعبية واعية في برامج التنمية ومشروعاتها التي تعكس أصلا في سياساتها وخططها، آمال الشباب و تطلعاتهم.

3- مفهوم العنف

لقد بات مصطلح العنف كثير التداول في الأوساط والجماعات، سواء أكانت إجرامية أو منحرفة أو حتى جماعة عادية بحيث يكون العنف على شكل كلام أو أفعال أو أشكال أخرى من التعبير الهادف إلى التجريح والتدمير وفي هذا السياق يكون العنف سلوكا لا عقلاني، مؤذ وغير متسامح فهو سلوك أو فعل يقصد من ورائه رفض الشيء أو المطالبة بالحصول عليه، تحقيقا لرغبة أو حاجة محددة وقد تستخدم وسيلة مادية عند تنفيذ الفعل، كما يعني استخدام القوة استخداما غير مشروع أو غير مطابق للقانون على نحو من شأنه التأثير على إرادة فرد ما أو مجموعة من الأفراد (اسماعيل محمد الزيود 1982، ص 19) وهو إنكارا للقواعد الاجتماعية المهيمنة فهو يتخذ صورا متعددة داخل الأسرة مثلا أو في العمل، في الشارع، ضد النساء، ضد المعوقين والمهاجرين والأقليات والمهمشين وصغار السن (ربحي مصطفى عليان، 2014،

ص 25) وهو يشمل أشكال متعددة، الجسدي والنفسي والاصابات وإساءة المعاملة والإهمال والاستغلال والإساءة الجنسية... الخ

أي أن كلمة عنف تحمل معنى " القوة أو تعمد ممارستها اتجاه شخص أو شيء ما، وبذلك فالعنف يعني استخدام وسائل القهر والقوة والتهديد لإلحاق الأذى والضرر بالآخرين" (طه عبد العظيم حسين 2007 ، ص17). والعنف ليس دائما سلوكا مباشرا وظاهرا فهو " كل فعل ظاهر أو مستتر، مباشر أو غير مباشر، مادي أو معنوي لإلحاق الأذى بالنفس أو بالآخرين سواء كانوا من الأقارب أو من غير الأقارب. كما أنه وسيلة للتعبير وتحقيق القدوة وتأكيد الذات، عندما يفقد الفرد الشعور بالأمان والإحباط وتدهور القيم الاجتماعية نتيجة لغياب قيم العدالة وفقدان الاعتبار وغياب السلطة الضابطة للسلوك، فهو مظهر من مظاهر الصراع وهو يتدرج من صراع بسيط إلى صراع عنيف وقد يتطور العنف فيبدأ بالسب والضرب وينتهي بالقتل أو الشروع فيه (جمال معتوق، 2012 ، ص18).

من خلال ما سبق، يظهر أن العديد من العلماء اتفقوا واشتركوا في أن العنف يستعمل القوة والقسوة والتي يعبر عنها غالبا بأساليب بدنية ولفظية وباستخدام أدوات مختلفة والتي تتفاوت في درجة مشروعية أسبابها ابتداء من الدفاع عن حق وانتهاء بإنزال ظلم وعدوان والتي تختلف في غاياتها ابتداء من التهذيب والتصويب وانتهاء بالتخريب والتي تتنوع في آثارها البدنية والنفسية والعقلية والاقتصادية (منى يونس بحري ونازك عبد الحليم قطيشات، 2011، ص 16).

عموما من الصعب أن نحصر مفهوم العنف في نطاق تعريف محدد، ويكفي أن نقول أن كل هجوم غير قانوني على أي حق أو حرية شخصية تعترف بها الجماعة بشكل صريح أو ضمني هو نوع من أنواع العنف (مطاع بركات، 1994، ص 10) انه لغة التخاطب الأخيرة الممكنة مع الواقع ومع الآخرين حين يحس الفرد بالعجز عن إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، وحين تترسخ القناعة لديه بالفشل في إقناعهم بكيانه وقيمه فتكون استجابته تتسم بالعوانية والشدة والعنف و إذا استمرت في الازدياد تكون مدمرة.

وكثيرا ما يفسر العلماء والمنظرون العنف بربطه مباشرة بالإحباط، غير أن أصحاب نظرية الإحباط ورائدها جون دولارد، يؤكدون أن الإنسان يعتدي إذا كان الإحباط متعمدا وحدث بطريقة تعسفية ولكنه لا يعتدي إذا كان إحباطه غير متعمد، وحدث بطريقة عفوية وقد فسر هذا الموقف بان الإحباط لا يؤدي دائما إلى العدوان في جميع الأحوال لان ظهور العدوان

بسبب الإحباط يتوقف على استعداد الشخص للعدوان وإدراكه للموقف الإحباطي وتفسيره (مصطفى احمد تركي، 1996، ص 28).

4- طريق الشباب إلى العنف

يبدأ الفرد مرحلة الشباب بمحاولة الاستقلال بنفسه اقتصاديا، ويخطط لحياته ومستقبله ويواجه مشكلات الحياة الواقعية، كاختيار التخصص الدراسي أو اختيار المهنة، من هنا تبدأ مرحلة طويلة من الكفاح في سبيل الثروة والمكانة والحياة الكريمة، التي يرحبها لنفسه ولذريته ويدرك في قرار نفسه أي قرار سيتخذه في رسم و تخطيط حياته المقبلة، بل سيحدد مستقبله لسنين طويلة وبناء عليه يتردد كثيرا في الحكم على المشكلات أو اتخاذ القرارات خصوصا كلما زادت الحياة تعقيدا ويؤدي به التردد إلى التوتر الانفعالي الشديد...إلا أن الشباب في مرحلة الرشد وبمضي الزمن واجتيازهم العشرينات الى الثلاثينات، فإذا هو في منتصفها قد اطمأن إلى النمط الذي اختاره لحياته، وعرف وجهته في الحياة وهكذا يعود إليه اتزانه الانفعالي مرة أخرى ويحس في أعماق نفسه انه أصبح و كأنه يوجه حياته كيفما يشاء ويريد (محمد يسري دعيس، 1996، ص 246).

والشاب في مرحلة الرشد قد يغالي في آماله إلى الحد الذي يتجاوز فيه مستوى طموحه وطاقاته وقدراته وإمكانياته وتفاجئه الحياة بما لا يحب ويرضى، ويظل في سعيه المربح وإخفاقه المتواصل حتى يصل إلى المرحلة التي يجب أن يحدد فيها موقفه من مشكلاته فهو إما أن يرضى لآماله بديلا في مستوى إمكانياته ويتكيف تكيفا سويا لوضعه الجديد، فتهدأ حياته الانفعالية ويستقر به النمو إلى الاتزان الانفعالي الذي يعيد إلى نفسه الهدوء والطمأنينة والرضى بالأمر الواقع وإما أن يثور على نفسه ويتردد بين الرضى بالواقع ويرفضه، وتزداد حدة هذا التوتر النفسي ضراوة سنة بعد سنة أخرى حتى يؤدي به إلى الانهيار العصبي. إن الشباب واع لما يجري حوله وطموحاته عالية، إلا أن التحديات الكبيرة التي تواجهه مع عدم وضوح الرؤية وانسياب المادة الإعلامية في اتجاه التغريب بدل الترشيح والتعمد في نشر السلوكيات الاستهلاكية التي لا تتماشى وأهداف التنمية وواقع الشباب الاقتصادي والاجتماعي كلها عوامل فاعلة في توليد احباطات متوالية أسهمت في إبطال فاعلية الشباب فتحول بعدها إلى كيانات سلبية (علي بوعنقة ، 2007 ، ص125).

وجدير بالذكر في هذا الصدد أن كثيرا من الشباب الجزائري، لا يرضى بالأمر الواقع لأنه لم يحقق أي شيء من طموحاته فلقد حصل على المؤهل الدراسي، ولكنه يفقد الأمل في

الحصول على الوظيفة المناسبة إلا بعد مرور أشهر أو سنوات مما يصيبه بالإحباط واليأس وسرعة الغضب والقلق والتوتر وعدم اطمأنانه على مستقبله، وتزداد هذه المشاعر كلما اقترب الإنسان من سن الثلاثين لاعتقاده بان ذروة سنوات العطاء قد سحبت من عمره بدون فائدة أو تحقق أدنى طموحاته وهذا ما جعل جانب منهم يتجه إلى التدين بغية الخلاص من هذه الإخفاقات المتكررة، وجانب آخر يدخل إلى دائرة التطرف ثم انسلخ بعض العناصر الشابة وتكوينها جماعات متطرفة تتجه نحو استخدام العنف للتعبير عن رفضها لواقعها ولحياتها وللمجتمع، فدخلت بذلك إلى دائرة الإرهاب بكافة صورته وأشكاله.

عموماً، وحسب ما يذهب إليه علماء الاجتماع والسياسة، انه إذا ظلت قدرة المجتمع محدودة غير قادرة على استيعاب طاقات الشباب فسوف يصبح المجتمع مهدداً بانفجارات اجتماعية عديدة قد تحمل قدراً من الفوضى، وهي بالتأكيد سوف تؤدي إلى تدمير الكثير من المظاهر الاجتماعية (علي بوعنقة 2007، ص 129).

إن مظاهر الرفض والغضب والإحباط وممارسة العنف من طرف الشباب الجزائري، كثيرة ومتعددة يرجعها بعض المختصين إلى الاعتبارات التالية:

1/ عدم تكافؤ الفرص أمام الشباب فيما يخص التعليم والعمل، إذ أن إدخال الشباب في مجال العمل في المجتمع يزيد من قوة الشاب ورضاه ويزيد من قوة المجتمع، بينما إخراجهم من العمل أو عدم توفرهم لفرصة العمل يضعف هذا الشاب ويجعله محبطاً يائساً وهذا ما يضعف المجتمع.

2/ التوزيع غير العادل لثروات البلاد، فبرغم الخيرات الكثيرة للجزائر، فهي موزعة بصفة غير منصفة ما أدى إلى تقسيم المجتمع إلى طبقات اجتماعية تزيد من ثراء الأغنياء واحتياج الفقراء أكثر فأكثر خاصة مع زيادة مغريات الحياة المادية و غلاء المعيشة، فإذا كان هذا قناعة ورضى بالنسبة لأبائنا وأجدادنا، فهو غير ذلك بالنسبة للشباب الذين زادهم مستواهم التعليمي المرتفع وعياً وإدراكاً لعدم تقبل هذه الوضعية فالكمل متساوي وله الحق في الحياة الكريمة.

3/ إن ظاهرة الرفض عند الشباب قد تشمل القيم القديمة والمعايير والمستويات والسلطة وقد يلجأ الشباب أحياناً إلى اتخاذ مواقف عدائية نحو الكبار. والبعض يرجع ظاهرة الرفض إلى التناقض بين الذات المثالية والذات الواقعية عنده، حيث أن الرومانسية قد تدفع الشباب نحو البحث عن كل ما هو مثالي وما يترتب على ذلك من بذل مزيد من الجهد ومحاولة الاتصاف

بصفات الشجاعة وإنكار الذات وغيرها من الصفات المثالية (طارق كمال، 2016، ص ص 11، 12). وإذا لم تجد الروح المثالية للشباب متنفسا لها في الظروف الواقعية للمجتمع فإن ذلك قد يفتح الباب على مصراعيه أمام العديد من المظاهر السلبية في المجتمع.

4/يمثل الشباب الفئة الأكثر نشاطا في المجتمع ومع ذلك فيجب على الشباب أن يعرف أن الوسط الاجتماعي المحيط به لا يأتي نتيجة مجهود الشباب فقط بل أن هناك جزءا كبيرا من هذه المجهودات تأتي من خلال الأجيال السابقة. وكثيرا ما يعتقد الشباب أنهم ليسوا نتاج الأجيال السابقة، مما قد يؤدي إلى حدوث اضطرابات وصراعات في المجتمع ومواجهة هذا الموقف لا تكون عن طريق التأمل والتحليل فقط، وإنما يجب أن تشتمل أيضا على إتاحة الفرص للشباب للتعبير عن أنفسهم كما يجب على الكبار أيضا أن ينقلوا خبراتهم وتجاربهم إلى الشباب.

5/من أهم خصائص الشباب التي يمكن للمجتمع أن يستفيد منها، هي رغبة الشباب في التغيير الدائم و تجديد كل ما يحيط به من ظروف ومواقف، كما أنهم يتقبلون كل جديد من الأفكار والتجارب لذلك يجب محاولة استثمار نشاط الشباب لصالح المجتمع وليس ضده، و يجب أن يتم ذلك بطريقة بعيدة عن الصراعات والاضطرابات.

6/و رغم أن الشباب عادة ما يتبنون نوعا من الثقافة خاصة بهم إلا أن المجتمع لا يجب أن يتخذ موقفا عدائيا للشباب إزاء نسقهم الثقافي، بل عليه أن يدعم هذا النسق وإلا يفرق بين النسق الثقافي للشباب والإطارات الثقافية الأخرى السائدة في المجتمع مثل ثقافة الشرائح الأكبر سنا وذلك منعا لحدوث تفكك بين أفراد المجتمع.

7/يجب التعرف على أهداف الشباب واحتياجاتهم وذلك إذا أردنا أن نبني لهم نسقا ثقافيا خاصا بهم يحقق طموحاتهم ويستفيد منه المجتمع في نفس الوقت. فإذا لم يتحقق الإشباع للحاجات الأساسية للشباب فسوف تظل حبيسة ومعرضة للانفجار تحت وطأة الحرمان خاصة إذا تواجدت ظروف ومتغيرات تعمل تدريجيا على انسياب الطاقة في مجالات غير سوية. وإلا يصبح أمام الشباب 3 خيارات صعبة:

_ أن يتحول إلى السلوك المنحرف أو الإجرامي أو ممارسة السلوك الانتهازي باعتبار أن الغاية تبرر الوسيلة

_ الانسحاب من الحياة الاجتماعية وعدم التفاعل معه وعدم الانتماء له، ويصبح الشاب صيدا لأية جماعة ذات ايديولوجية مضادة ، خاصة أن هذه الجماعات تقدم له الإشباع البديل ومن ثم تستقطبه لكي تعيد توجيهه في حركة مضادة للمجتمع.

_ العيش مهاجرا داخل الوطن رافضا لواقعه ساعيا للهروب إلى خارج الوطن علّه يمكنه من إشباع حاجاته.

ولا يقتصر الإشباع على الحاجات المادية فقط، بل أن الإشباع في جوهره يرتكز على الإشباع النفسي والاجتماعي فالأمن حاجة نفسية اجتماعية ضرورية بينما الخوف والقلق يولدان الميل للعزلة و الانعزال(محمد محمد بيومي، 2002 ، ص 23) وكثيرا ما تكون تحركات الشباب لتغيير الثقافة التقليدية عاملا حاسما في تغيير ثقافة المجتمع ككل.

8/ يجب أن يتم دعم انتماء الشباب للمجتمع ونظمه وذلك للاستفادة من طاقة الشباب بطريقة لا تؤدي إلى حدوث صراعات واضطرابات، حيث أن فقد الشباب لانتمائهم للمجتمع يؤدي إلى ظهور العديد من المظاهر السلبية التي تؤثر في المجتمع تأثيرا كبيرا وغير مرغوب فيه، إذ أن فقد الانتماء قد يؤدي إلى تفكك أفراد المجتمع وقلة عطائهم في القضايا الحيوية التي يواجهها المجتمع.

9/ عندما تكون معدلات التغير في المجتمع سريعة فإن الماضي قد ينفصل عن الحاضر، والمستقبل قد يبدو بعيدا أيضا، لذلك يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن تكون التغييرات في المجتمع ذات إيقاع غير سريع وذلك للاستفادة من تجارب الماضي وطموحات المستقبل بطريقة لا تؤدي إلى شعور الشباب بعدم الانتماء أو بالاغتراب. والاغتراب هو شعور الفرد بالاستياء والتذمر والإحساس بالعزلة والوحدة... وإحساس الفرد بفقدان المعايير الاجتماعية التي تضبط السلوك مما يفقده القدرة على ضبط سلوكه (اسماعيل محمد الزبود ، 1982، ص4).

10/ كثيرا ما يفشل الشباب في الاستفادة من تجارب الفئات الأكبر سنا، مما قد يؤدي بهم إلى الشعور بعدم الانتماء بل أن ذلك قد يؤدي إلى ظهور صراعات في المجتمع أيضا، وإذا حدث هذا فإنه يجب الإبقاء على هذه الصراعات في صورتها البسيطة أي أن الأمر يجب أن لا يتحول إلى درجة الصراع الاجتماعي.

11/ يجب على النظام السياسي تبني سياسة التعاون، والتخلي بروح الجماعة في التعامل مع الشباب، إذ أن ذلك يبعد الكثير من الأخطار التي تواجه الشباب وذلك من خلال الحزم والحكمة

ومن خلال إشراك الشباب في العمل السياسي والاجتماعي على أن تكون هذه المشاركة حقيقية وفعالة.

12/ في بعض الأحيان قد يقوم النظام السياسي بمحاولة إبعاد الشباب عن النضال السياسي والاجتماعي ولكن هذا الأمر عادة ما يكون له نتائج عكسية وقد يصبح عاملا مسببا للقلق أكثر منه عامل للاستقرار.

13/ كثيرا ما يقع الشباب في صراع قيمي نتيجة عدم التكافؤ بين احتياجاته المتزايدة وموارده المحدودة والخلل القائم بين نضجه الاجتماعي ونضجه الاقتصادي وتمديد فترة تبعيته وولوجه المتأخر عالم الشغل، هذا الذي انعكس على أفعاله وتصرفاته التي تأتي أحيانا متناقضة مع ما يؤمن به فيزيده ذلك ألما وتألما يجره إلى الفرار من الواقع كل بطريقته وحسب إمكانياته ودرجة تحمله وصبره وقوة إيمانه (بو مخلوف وآخرون ، 2012 ، ص 446).

هذه بعض الاعتبارات التي يجب الانتباه إليها إذا أردنا أن نجنب شبابنا الدخول في دائرة العنف الذي ولاشك انه لا يولد إلا عنفا مماثلا أو اشد منه فيصل به الحد إلى ارتكاب الجرائم بمختلف أشكالها وأنواعها فينهار الشباب وتنهار الأسر وينهار بذلك المجتمع ككل. علينا إذن فهم هذه المرحلة وطبيعتها فهما جيدا ومن ثم معرفة الاحتياجات الحقيقية للشباب والعمل على إشباعها تفاديا للمشاكل المستقبلية.

خاتمة

لتجنب المشاكل التي يعيشها شبابنا في المجتمع، يجب العودة إلى الدين الحنيف وإتباع تعاليمه وممارستها في الحياة اليومية هي السبيل الوحيد للحد من تفشي السلوكات المشينة في المجتمع، حيث يعتبر كثير من الباحثين، أن التدين يزرع في الإنسان الطمأنينة والرحمة والمودة والمحافظة على صلة الرحم والتواصل الروحي بين الإنسان وخالقه والسماحة والبعد عن القلق والخوف واليأس والإحباط ومساعدة الناس والمحافظة على علاقات الجوار ونصرة الضعيف وقول الحق والصدق واحترام الكبير والعطف على الصغار والالتزام الخلقي والأدبي في التعامل مع بني البشر.

إن الالتزام الديني والخلقي داخل الأسرة، يحقق التوازن النفسي والاجتماعي للطفل والشباب فإقامة الأم والأب للشعائر الدينية والالتزام بها في مواعيدها، يجعل الطفل ينمو في

مراحل عمره المختلفة وقد ارتبط قلبه بالالتزام الديني وإتباع التعاليم الدينية الصحيحة ويتم التواصل والتراحم بين الأجيال بسعادة، لاستقرار الإنسان والمجتمع.

ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال نموذج وقدوة ومناخ ديني، يستشعر منه عطر الدين ويشعر بالراحة فالشخصية المتدينة حقا إنما يشكلها السلوك المعاش والقدوة الفاضلة والانسجام بين القول والعمل بشكل يجعل شرع الله حقيقة واقعة، وفي هذه الحالة فقط تتحقق بصدق ايجابية الإنسان مع الحياة وخلاقته للأرض كما أَرادها الله.

الهوامش

1/ محمد بومخلوف وآخرون، الشباب الجزائري: واقع وتحديات، مطبعة الملكية، الجزائر، 2012.

2/ علي ليلي، الشباب والمجتمع، المكتبة المصرفية، الإسكندرية، 2004.

3/ أحمد أوزي، المراهق والعلاقات المدرسية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2011.

4/ محمد علاء الدين عبد القادر، دور الشباب في التنمية، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1998.

5/ نورهان فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، 1999.

6/ رضا فرج، شرح قانون العقوبات الجزائري، ط2، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، الجزائر، 1983.

7/ فيصل محمد غرابيية، رعاية الشباب، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2009.

8/ مأمون طريبه، السلوك الاجتماعي للأسرة، دار النهضة العربية، بيروت، 2012.

9/ ربحي مصطفى عليان، العنف الجامعي، دار اليازوردي العلمية، عمان، 2014.

10/ طه عبد العظيم حسين، سيكولوجية العنف العائلي والمدرسي، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، 2007.

11/ جمال معتوق، مدخل إلى سوسيولوجيا العنف، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2013.

12/ منى يونس بحري ونازك عبد الحليم قطيشات، العنف الأسري، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2011.

- 13/ مطاع بركات، **الخبرات العدوانية في الأسرة**، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في علم النفس، جامعة بوزنان، بولونيا، 1994.
- 14/ مصطفى أحمد تركي، **دراسات في علم النفس والجريمة**، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1996.
- 15/ محمد يسري ابراهيم دعيس، **الإرهاب والشباب**، دار علم الإنسان و قضايا المجتمع، الإسكندرية، 1996.
- 16/ علي بو عناق، **الشباب ومشكلاته الاجتماعية في المدن الحضرية**، مركز دراسات الوحدة العربية بيروت، 2007.
- 17/ كمال طارق، **الشباب وقضايا المجتمع**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2016.
- 18/ محمد محمد بيومي، **انحرافات الشباب في عصر العولمة**، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة. 2003.
- 19/ اسماعيل محمد الزيود، **العنف المجتمعي**، كنوز المعرفة، عمان، 1982.